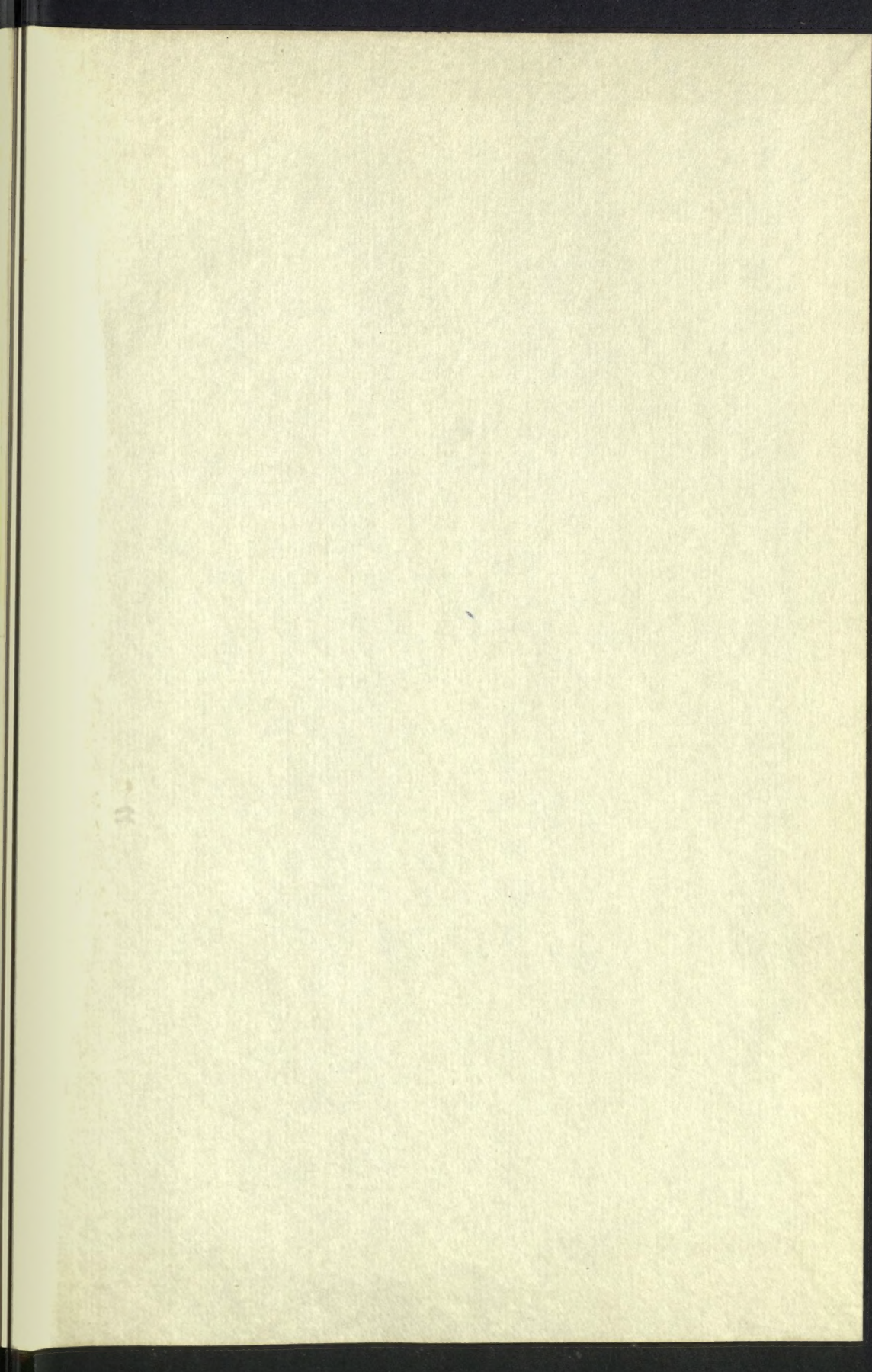


A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A. U. B. LIBRARY



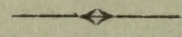
التي مع نفوس
خالص الولاء
انيس

NICOLA A. ZIADEH
American University of Beirut
Beirut, Lebanon

CA: AUB
492.7
F847hA

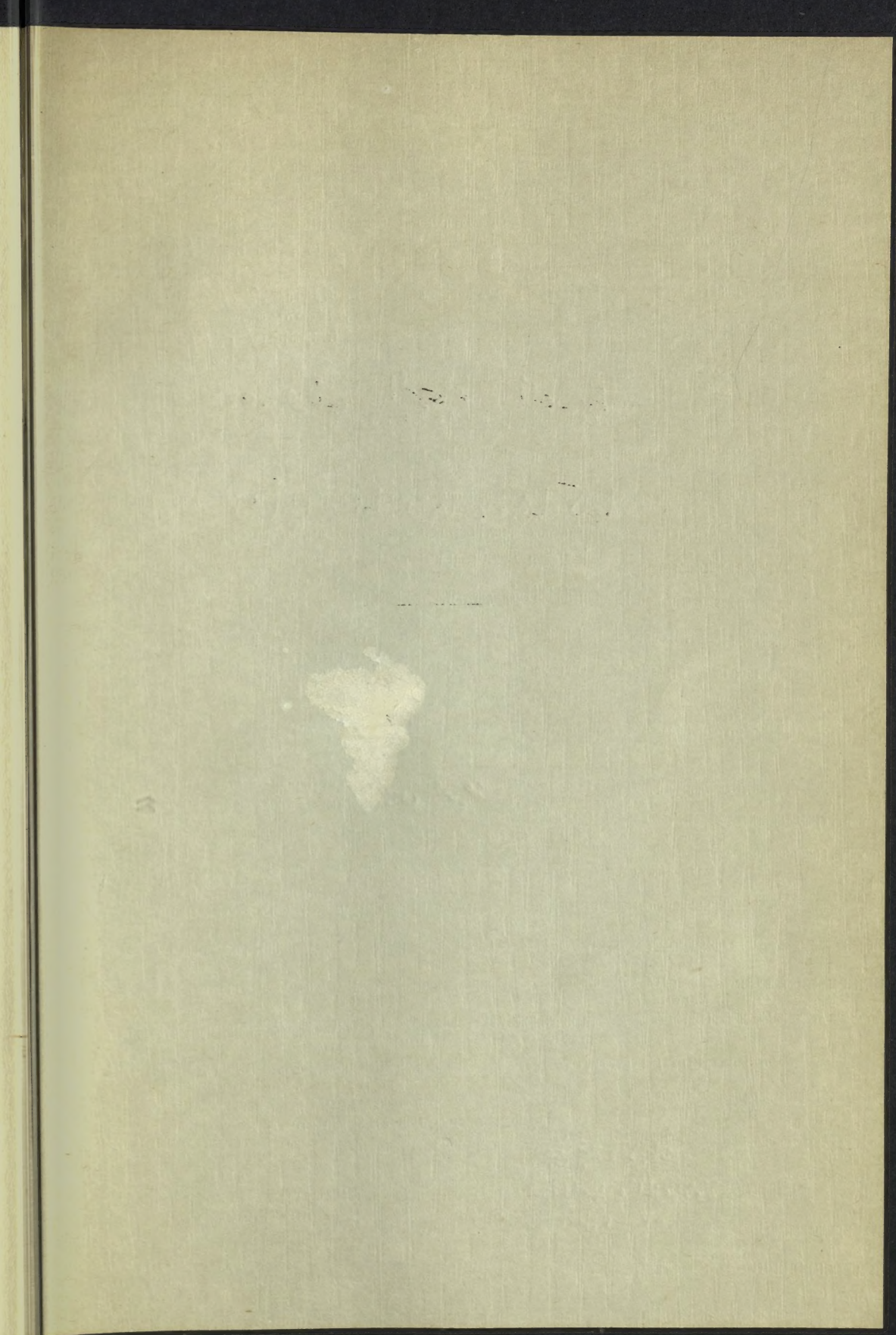
حروف^{٢١} الرجاء العربية

نشأتها ، تطورها ، مشاكلها



انيس فريجة

عن مجلة «الابحاث»
السنة الخامسة ، الجزء الاول
ص ١ - ٣٢



الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

السنة ٥ - الجزء ١ ربيع الثماني: سبتمبر ١٩٥٢

حروف الرهباء العربية نشأتها، تطورها، مشاكلها

توطئة

ليس لصورة الحرف قدسية ، إنما القدسية لما يرمز اليه الحرف : الفكر . وليس للآلهة في تطور الحرف يدٌ ، إنما هو رمز اعتباطيٌ اخذه المتمدنون عن الوثنيين ضرورةً لتدوين كلامهم . والكتابة ، كما يقول ابن خلدون ، داخلية في « عداد الصنائع الانسانية » .

وليس لامة ان تدّعي الفضل في خلق فكرة الكتابة ، فان كثرة الشعوب في تقدمها الحضاري ، منذ العصور الحجرية ، شعرت بضرورة وضع نظام لتدوين الفكر . وقصة الكتابة قصةٌ تطوّر مستمر من تصوير جميل (١) ، أحياناً ، الى

(١) كان الخط المصري القديم (الهيروغلوفي) في طوره الاول صوراً جميلة فنية يقوم برسمها كهنة وفنانون ، ولكن عندما عاجلت هذه الصور ايدي العامة أخذ الخط بالتقهقر والابتعاد عن الفن . ولم يكن الخط الفينيقي في اول عهده تام الصنعة ولكن عندما اقتبسه الاغريق ادخلوا عليه تحسينات عديدة .

رسوم قبيحة الشكل ، او على عكس هذا ، من رسوم قبيحة الى حروف جميلة في اشكلها وتناسبها .

والخط العربي من الخطوط المعقدة ، يكثر فيه الابهام وتشيع في اشكله الفوضى . وقد شعر العرب بهذه المشاكل منذ صدر الاسلام فتعهدوه بالتحسين ، ولا سيما بعد ان نشأت المدرسة . ولكن رغم الاصلاح المتواصل الذي طرأ عليه ، يشعر مفكرو العرب اليوم ان هذا الخط لا يسهل على القارئ القراءة ، ولا يعينه في تتبع الفكرة التي يقرأها الا بعد مران قاسٍ طويل . ولذا عني بجمع فؤاد الاول للغة العربية بتبسيط الخط وقد وضع جائزة كبيرة لمن يتقدم اليه بخط تتوفر فيه البساطة والجمال وسهولة الطبع .

والغرض من هذه العجالة ان نلقي نظرة عامة سريعة على تطور الخط العربي ومشاكله ، فننقل الى القارئ العربي بعض ما توصل اليه الغرب في هذا الحقل ، ثم نذكر شيئاً عن الحلول المقترحة لتبسيطه . ولا ينتظرن القارئ منا ان نلّم بالموضوع من جميع اطرافه ، ولا ان نُسب ، انما غرضنا إثارة الموضوع على صعيد العامة من الشعب ، لاننا نلاحظ في جميع قضايانا الفكرية انها تثار على صعيد الخاصة فيتحمس لها الناس زمناً ، ثم لا تلبث ان يتناساها الناس ، وتستمرّ الامور في مجراها القديم .

الخط العربي من اكبر مشاكل اللغة العربية . والعرب التواقون اليوم لمواكبة الحياة يرون في خطهم اكبر عائق في سبيل القضاء على الامية ونشر الثقافة بين الجماهير . وقد آن لهم ان يُعيدوا النظر فيه . وانا اعلم ان القضية اخطر من ان يتناولها فرد ، او ان تحكم فيها فئة من الناس . القضية تهم العرب اجمعين ، ولذا يجب ان نشترك جميعاً في الرأي لنكوّن رأياً عاماً منوراً يساعد الهياة التي سيكون لها الكلمة الفاصلة في هذه القضية .

الكتابة

الكتابة ظاهرة انسانية عامة ، وهي قديمة العهد لجأ اليها الانسان منذ ان اصبح انساناً . وقد مرت في اطوار (١) رئيسية خمسة :

(ا) الطور الصوري ، او الطور المادي عندما كانت ترسم المادة عيناً . فاذا اراد الانسان القديم ان يرسل الى صديقه رسالة يقول فيها انه ذاهب الى صيد السمك فلم يكن عليه الا ان يرسم صورة رجل بيده قصبه في رأسها شص متجهاً نحو بحيرة فيها سمك . وهو طور مرت فيه جميع الشعوب القديمة المتحضرة ، وهو الطور الذي لا تزال اقوام متأخرة تعيش فيه .

(ب) الطور الرمزي ، عندما اصبحت الصورة ترمز الى فكرة او امر معنوي يصعب تصويره . كيف يتأتى للرجل القديم ان يصور النهار ؟ هذه مشكلة صعبة ، ولكنه توصل اخيراً الى استنباط صور ترمز الى المعنى . صورة الشمس المنبثع منها الضياء تصلح ان تكون رمزاً للنهار وللضياء وللمعان . وكيف يمثل الجوع ؟ يرسم رجل بائس يده في فمه . وكيف يمثل الكفارة ؟ يطبق عليه خبز او مقدمة اخرى . ولا يزال شيء من هذا في الكتب التي هي من نوع «الدليل» فاننا نشير الى وجود مركز للبريد والبرق بصورة اعمدة التلغراف وخطوطه ، ونشير الى المطعم بملعقة وسكين وكأس ، والبنك بصورة تحويل مالي .

(ج) الطور المقطعي ، وهو بالفعل بدء الكتابة الهجائية . في هذا الطور تمثل الصورة مقطعاً يمكن استخدامه في تهجئة كلمات لا علاقة لها بالصورة ذاتها ، كما كان الامر في الكتابة البابلية والمصرية القديمة . مثلاً ، لو افترضنا افتراضاً

(١) عندما نتكلم في قضايا الاجتماع عن « اطوار » لا نغني ان الطور يبدأ في سنة معينة وينتهي في سنة معينة ليبدأ طور ثان . هذا مخالف لسنن التطور الاجتماعي . كثيراً ما يكون الطور السابق داخلاً في الطور اللاحق ، وكثيراً ما نجد الطورين او الثلاثة جنباً الى جنب في حقبة واحدة ، كما حدث في تطور الكتابة عند المصريين القدماء كما سترى .

بعيداً ان كاتباً مصرياً او بابلياً اراد ان يكتب كلمات تبدأ بالمقطع «يد» (كما في يَدَهْس وَيَذْخِر) فانه كان يصوّر صورة يد ويطلب الى القارئ ان ينسى ان هذه يد بل هي مقطع هجائي . ثم انه كان يرسم صوراً اخرى قيمتها الصوتية تعادل المقاطع الاخرى التي يريدوها . وقد وفق المؤرخ الاميركي برستد (Breasted) في توضيح هذا الامر عندما مثل عليه بكلمة belief ، فلو ان المصري القديم اراد ان يكتب هذه اللفظة فانه كان يرسم صورة نحلة (bee) وصورة ورقة (leaf) (١) .

(د) الطور الصوتي او الاكروفوني (٢) وفيه يلجأ الكاتب الى تهجئة الكلمات باستخدامه صور اشياء يتألف من هجاءها الاول لفظ الكلمة المعنية . مثلاً اذا اراد ان يكتب كلمة «زيت» فانه يرسم رسماً يبدأ بالزاي (زهرة او زنبقة) وآخر يبدأ بالياء (يد) وآخر يبدأ بالتاء (تينة) .

من سوء حظ هذا الكاهن او (الكهنة) الذي ابتدع هذه الطريقة ، التي ادّت فيما بعد الى وضع حروف الهجاء الصرفة ، ان التاريخ لم يُبقِ لنا اسمه ، وإلاّ لسكان عن جدارة في عداد المشاهير في تاريخ المدنية . لانه اذا كانت حروف الهجاء الفينيقية قد وضعت على هذا المبدأ — وليس هناك ما يشير الى عكس هذا — فانهم ، الفينيقيين ، يكونون قد اقتبسوا الفكرة عن المصريين (٣) . غير ان المصريين لم يستغلوا هذا الاكتشاف ، ولم يستطيعوا تجريدها ولا

(١) في هذا النوع من الكتابة يعتبر اللفظ فقط ، لا طريقة الكتابة التاريخية للفظ .

(٢) Acrophony وهي كلمة يونانية مؤلفة من Acros البدء ، ومن Phone الصوت ويشيرون بها الى مبدأ اتخاذ الصورة كرمز للهجاء الاول من اسم الصورة . اي صورة الكلب ترمز الى ك وصورة غزال الى غ ، على نحو ما يعلون الصغار اليوم حروف الهجاء فيقولون لهم ب = بطة... الخ .

(٣) استعمل المصري القديم في كتابته قرابة ٢٤ صورة اكثر اسما يتألف من هجاء واحد ، كصورة الفم (= شفتين) وترمز الى حرف الراء لان الفم اسمه ru ، وقد استخدم هذه الصور كحروف هجاء .

استطاعوا ان يتخلصوا من الكتابة الصورية جملة . فاننا نرى في الكتابة المصرية القديمة محافظة شديدة (ذلك لانها كانت في الاغلب وفقاً على الكهنة لانها نشأت في المعابد) ففيها الكتابة الصورية المحضة والرمزية والمقطعية والاكروفونية . اما التاجر الفينيقي الذي كان همه السرعة والكفاءة وسير الاعمال فانه جرّد هجاءه تجريداً تاماً .

(هـ) الطور الهجائي الصرف ، الذي لم يعد فيه للصورة من معنى ماديّ ، بل اصبحت الصور ، او على الاصح ما تبقى من شكلها ، رموزاً تدل على اصوات معينة . وهذا الطور يعود الفضل فيه الى الفينيقيين سكان الشاطئ الممتد من اللاذقية شمالاً الى الكرمل جنوباً الى البقاع وقليلاً بعده الى الشرق . وهذه الحروف الهجائية اصبحت امماً لكل هجاء تالي بما في ذلك الحرف اللاتيني .

لم يحفل الفينيقي كثيراً بالكتابة كفن من الفنون الجميلة كما كان ينظر اليها الكاهن المصري في هيكله ، بل كان همه تصريف الامور التجارية . ففي القرن الخامس عشر ق. م . او السادس عشر (١) وضع ٢٢ حرفاً مرتبة ترتيب ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت (٢) وهذه الحروف هي عينها الحروف الآرامية والعبرية . وقد حافظ هؤلاء على اسماء الحروف وترتيبها كما كانت عند الفينيقيين ،

(١) كان يظن قبل اكتشاف نقش الملك أحيرام في جبيل (Byblos) الذي يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر ق. م . ان وضع الحروف الهجائية لا يتجاوز القرن الثاني او الثالث عشر ، ولكن صور الحروف في هذا النقش تفرض ان يكون زمان وضعها سابقاً للقرن الثالث عشر بيشعة قرون ، اذ يجب ان يكون بين زمن وضعها وزمن أحيرام فترة تطور وصقل مديدة .

(٢) كنا نعجب ، كاطفال يتعلمون الهجاء ، من هذه الاسماء التي لا اذكر ان معلماً فسّر هالنا . بل كان الواحد منا بعد استظهار ا ب ت ... الخ يعود فيتعلم ابجد هوز ... الخ ، ولم افقه لها معنى حتى عنيت بدرس اللغات السامية . وقدماً حيرت هذه الاسماء رواة العرب الاقدمين فحاكوا حولها أساطير وخرافات كما سترى بعد .

واستعملوها للعدد (١) كما يستعملها العرب ايضاً في حساب الجُمَّل . وكانت لسته حروف منها ، وهي التي تجمعها كلمتا « يجد كفت » لفظان (التاء : ت ث ، والدال : د ذ ، والكاف : ك خ ... الخ) فيصبح عدد الهجاء ٢٨ . وعن الفينيقيين اخذ الاغريق هذه الحروف الصامتة (٢) ولكنهم ادخلوا عليها تحسينات عظيمة باضافة الحروف المصوتة ، اي الحركات لانهم اي الاغريق ، لحظوا ان هذه الكتابة التي تقتصر على رسم الحروف الصامتة دون الحروف المصوتة كتابة ناقصة ، ولا يمكن ان تشيع بين الناس ، بل تظل وفقاً على الطبقة الارستقراطية عقلاً وثقافة (٣) . اما الاغريق الديمقراطيون فكان همهم ان تشيع بين الجماهير .

وقد نشأت في القرن التاسع عشر قضية اكاديمية حول اصل الحروف الفينيقية ، اهي من صنع الفينيقيين ام هي اقتباس ؟ واين نشأت اولاً ، في فينيقيا ام في بقعة اخرى ؟ ولكن هذه القضية لا تمس الجوهر الذي يسلم به كل مؤرخ : الفينيقيون هم اول من كتب بحروف هجائية صرفة ، وحروفهم هذه هي ام كل هجاء تالي .

(١) الارقام الهندية ١ ٢ ٣ ... الخ ، التي يسميها الفرنج ارقاماً عربية ، طارئة في اللغات السامية . فانهم كانوا يستعملون حروف الهجاء ، ولذا رتبوها في شكل كلمات يسهل تذكرها ، فكانت ا = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ... الخ الى ت = ٤٠٠ ، ثم عندما أضافوا الروادف اتخذ ضغط اعطوها ايضاً قيمة عددية . والعرب يعطون الفضل في وضعها للهنود ، ولان الفرنج اخذوها عنها فانهم يعطونها الفضل في هذا العمل العظيم .

(٢) تقول الاسطورة الاغريقية ان الذي علمهم الهجاء الفينيقي كان قدموس Cadmus (واسمه فينيقي = قدم = الشرق) الذي ارسله ابوه ليفتش عن اخته اوربا (= عربا = الغرب) وهي لفظة فينيقية (التي اختطفها زوس من على الشاطئ اللبناني عندما كانت تستحم . ولكن في تطوافه في بلاد الاغريق اوعز اليه في هيكل دلفي ان يكف عن التفتيش ويتبع عجلة ، وحيث تقف العجلة يبنى لنفسه مدينة يحكمها هو بنفسه كملك . وهكذا صار . وعندما استقر به المقام في مدينته اخذ يعلم الاغريق الكتابة واستعمال الآلات الموسيقية في اعياد الآلهة ، وصناعة النحاس .

(٣) يعلم كل من يلم باللغات السامية ان هذه الشعوب درجت في كتابتها على نظام رسم الحروف الصامتة دون المصوتة فجذر حروفه ق ت ل يمكن ان يؤول بعشرات الامكانيات مثل ' قَتِلَ وقَتِلَ وقَاتِلَ ... الخ . اما نشوء نظام للحركات فيرجع نسبياً الى عهود متأخرة جداً .

وها نحن نذكر باقتضاب كليّ اهم النظريات التي قدّمت مع ذكر بعض المصادر (١) التي يستطيع طالب المزيد الرجوع اليها .

النظرية المصرية :

ويقول اصحابها ان الفينيقيين كانوا على صلة وثيقة مع مصر تجارياً وثقافياً . ولا شك انهم عرفوا الكثير عن مبادئ خطهم ، فوضعوا حروفهم على المبدأ نفسه . واختلفوا في هل اقتبسوه عن الخط الهيراطيقي (ومعناها الكتابة المقدسة) او من الخط الديموطيقي (ومعناها خط العامة) . واختلفوا كذلك في هل ان الفينيقيين اخذوه جملة او اخذوا بعض حروفه واستنبطوا اخرى ، ذلك لانهم وجدوا صعوبة كلية في ربط بعض الحروف الفينيقية بحروف مصرية . والنظرية المصرية قديمة العهد اخذ بها كثيرون من المؤرخين الكلاسيكيين (الاغريق والرومان) مثل افلاطون وديودورس وبلوتارخ وتسيستوس ، ومن المحدثين لنورمان (٢) ودي روجه (٣) وهلفي (٤)

(١) ما كتب في موضوع الهجاء ، اصله ونشأته وتطوره ، يكون مكتبة عامرة جداً نكتفي بذكر بعض الكتب التي تبحث الكتابة عامة :

- | | | |
|-----------------|---|--|
| DRIVER, G. R. | : | <i>Semitic Writing, London, 1948</i> |
| DIRINGER, DAVID | : | <i>The Alphabet, New York 1948</i> |
| JENSEN, HANS | : | <i>Geschichte der Schrift, Hannover, 1925</i> |
| LIDZBARSKI, M. | : | <i>Das Alphabet, in Nordsemitischen Epigraphik. P. 173 — 194</i> |
| LENORMANT | : | <i>Essai sur la Propagation de l'Alphabet Phenicien, I. p. 85 ff.</i> |
| E. DE ROUGÉ | : | <i>Mémoire sur l'Origine Egyptienne de l'Alphabet Phenicien, 1874</i> |
| J. HALÉVY | : | <i>Mélanges d'Epigraphie et d'Archeologie Sémitique, vol. IX (1901) p. 356</i> |

النظرية السينائية :

ومؤدّاها ان النقوش التي عثر عليها فلندز بتري (Petrie) سنة ١٩٠٥ في شبه جزيرة سيناء ، حيث كانت للفراعنة القدماء مناجم فيروز ، تشكل حلقة وصل بين الكتابة المصرية القديمة وبين الحط الفينيقي القديم . وهذه النظرية في الواقع تنمّة للنظرية المصرية ، غير ان حلقة الصلة كانت مفقودة عند اصحاب النظرية المصرية . ويرى جلّ الذين درسوها انها الارومة التي منها اشتقّ الفينيقي القديم والسبائي القديم . (١)

النظرية البابلية :

ويقول اصحابها (٢) ان الحطّ الفينيقي مشتق من الحط المسماري او الاسفيني كما يسميه الغربيون (Cuniform من Cunus اسفين) وذلك لقرب الصلات الثقافية والتجارية بين اشور وبابل وشواطئ البحر الابيض ، ولتقارب اشكال

-
- FLINDERS PETRIE : *Researches in Sinai, London 1906 ; The Formation of the Alphabet, 1912 .* (١)
- ALAN H. GARDINER : *Inscriptions of Sinai, London, 1917 ; The Egyptian origin of the Semitic Alphabet, Journal of the Egyptian Archeology, 1916, III, 1-6.*
- MARTIN SPRENGLING : *The Alphabet ; its rise and development from the Sinai inscriptions, University of Chicago, 1931 .*
- KURT SETHE : *Die neuentdeckte Sinai-Schrift... , Nachrichten von der Kgl. Ges. d. Wissenschaft z. Gottingen, Phil. - hist. Klasse, 1917, 437 ff.*
- W. DEECKE : *Der Ursprung des Altsemitischen Alphabets aus der neuassyrischen Keilschrift, ZDMG vol. 31, 102 - 116 .* (٢)
- Fr. DELITZSCH : *Eie Entstehung des Aeltesten Schriftsystems 1897 .*
- Fr. HOMMEL : *Ethnologie und Geographie des Alten Orients, 1925 P. 96 ff.*

بعض الحروف . ولكنّ اكتشاف الفرنسيين سنة ١٩٢٩ مدينة اوغاريت الفينيقية (شمالي اللاذقية في مكان اسمه الحاليّ رأس شمرا) التي كانت مرفأ هاماً ورد اسمها كثيراً في النقوش المصرية القديمة ، جعل الناس ان يتخلوا عن هذه النظرية . فقد عُثِر في اوغاريت على كتابات عدة وقصائد دوّنت بالخط المسماري ولكن على اساس هجائي . وقد حلّت رموزها وترجمت (١)

النظرية الكريتية او الايجية :

ورأي اصحابها ان الفينيقيين اخذوا خطهم عن سكان الشمال، بطريق كريت او قبرص ، او من جزر الايجي مباشرة ، وذلك لكثرة تسفارهم الى تلك الجزر للمتاجرة . وقسم يرى ان الفلسطينيين الذين دخلوا فلسطين في القرن الثالث عشر ق.م، واحتلوا الشاطئ الممتد من غزّة جنوباً الى جنوبي حيفا شمالاً (وبهم سميت فلسطين) هم الذين جلبوا هجاء شمالياً اخذه عنهم الساميون (الكنعانيون اخوان الفينيقيين الى الجنوب) . ولكن هذا الزعم لا يثبت الآن بعد اكتشاف رأس شمرا وناووس احيرام في جيبيل ، اذ منها ومن غيرها يظهر ان الفينيقيين كانوا يكتبون بهجاء قبل ان تطأ اقدام القبائل الايجية سواحل فلسطين (٢) .

R. P. P. DHORME : *Un nouvel alphabet semitique, Revue Bib. 4, 1930 ; Revue Bib I, 1931 .* (١)

HANS BAUER : *Entzifferung der Keilschrifttafeln von Ras Shamra, Halle 1930.*

F. A. SCHAEFFER AND CHARLES VIROLLEAUD : *in Syria 1929 — 1930 .*

Fr. PRAETORIUS : *Ueber den Ursprung des Kanaanaischen Alphabets, Berlin, 1906 .* (٢)

LEHMANN-HAUPT : *Zur Herkunft des Alphabets, ZDMG, 1919 p. 67 ff.*

A. J. EVANS : *Scripta Minora I, Oxford 1909, p. 77 ff.*

HERMAN SCHNEIDER : *Der Kretische Ursprung des Phoenikischen Alphabets, 1913.*

النظرية الكنعانية :

وقد دافع عنها العالم المستشرق مارك ليدسبارسكي في كتابه المعروف :
Ephemeris fur semitische Epigraphik, I 128 ff .

النظرية الجبيلية :

والقائل بها موريس دينان (Dunand) الذي كان يقوم بحفريات في بيبيلوس القديمة (جبيل) فعثر على نقوش تشبه الهيروغليفية ولكنها هجائية لا صورية . ويعتقد دينان ان هذا الحرف هو ام الهجاء الفينيقي ، وحسب نظريته يجب ايضاً ان نرجع زمن الهجاء الفينيقي الى الورا عدة قرون اخرى .

النظرية الفينيقية :

ويصر اصحابها على ان الهجاء نشأ في فينيقيا ولم يكن مستعاراً ولا مقتبساً . وكان يأخذ بهذا الرأي بعض المؤرخين الكلاسيكيين مثل لوقان وبليني وكلمنس الاسكندراني .

وقبل ان نترك الموضوع يحسن بنا ان نشير الى نظرية لم تلق قبولاً عند الباحثين ، مؤداه ان الهجاء اشتق من خطوط واسارات هندسية كانت شائعة الاستعمال في جميع انحاء حوض المتوسط .

يرى القارئ من هذا العرض الموجز ان قضية اصل الحروف الهجائية الفينيقية اكاديمية تاريخية تحتل كثيراً من الوجوه . اما المحقق ، وقد ألمعنا اليه سابقاً ، فهو ان الفينيقيين وضعوا لهم حروفاً في القرن الخامس عشر او السادس عشر . ومن هذا الخط الفينيقي الام تفرع الحرف السبائي الجنوبي ، وبذا انقسم الهجاء الفينيقي القديم ، على مر الزمن الى فرعين (١) شمالي ، ويشمل الفينيقي المتأخر ، والآرامي كما يتمثل في النقوش التدمرية والنبطية وفي نقش زنجري ، والعبري . (٢) جنوبي ، ويشمل الكتابة السبائية والمعينية والقبطانية (الخط المسند) والحبشية والصفوية والتمودية واللحيانية .

اصل الخط العربي :

وقد ذكرنا لك هذا توطئة لوضع الخط العربي في حيزه من الخطوط السامية. وهذا الخط احدثها عهداً ولكنه شاع وانتشر اكثر من اي خط سامي آخر ، ويأتي بعد الحرف اللاتيني في اتساع الرقعة الجغرافية .

ابن نشأ هذا الخط ، وهل هو من وضع العرب ام انه مقتبس ؟ سنذكر لك الرواية العربية ، ثم نردفها بما توصل اليه البحث التاريخي الحديث .

الرواية العربية :

لن نقف بك طويلاً عند نظرية التوقيف التي تقول ان الله علّم الانسان اللغة والكتابة ، لانها لا تستند الى العلم ولا يثبتها الواقع ، وكذلك لن نزعجك بذكر جميع الروايات المختلفة التي ينسبونها الى ابن عباس وغيره من الرواة والمحدثين ولا الى رواية ابن اسحق والواقدي والبلاذري وابن النديم والمسعودي والصولي وغيرهم (١) ، على ما فيها من متعة ، ولكن نرّ بك سراعاً ذاكرين نظرية يُصرّ التقليد العربي على توكيدها ، وهي ان الخط العربي الشامي مشتق من الخط العربي الجنوبي ، اي المسند خط اهل سبأ وحمير ، ولكن ليس مباشرة

(١) يقولون ان واضعي الخط هم ابيد او ابوجاد او اباجد وهوز او هواز او هاوز وحاطي وكلان او كلون.... الخ وانهم كانوا ملوك مدين (= مديان) هلكوا يوم الظلة (سورة الشعراء الآية ١٨٩) مع قوم شعبان. وكان رئيسهم كلون وقد رثته ابنته بشعر ١٠٠٠ وفي يوم الظلة يقول النضر بن المنذر : ملوك بني حطي وسعفس في الندى وهوز ارباب الثنية والحجر ويقول اعرابي (عن القلقشندي) :

اتيت مهاجرين فلهوني
وخطوا لي ابا جاد وقالوا
ثلاثة اسطر متابعات
تعلم سعفساً وقريشات

جميع هذه الاخبار تجددها مكررة في الصولي ادب الكتاب القاهرة ١٣٤١ هـ . ص ٢٨ - ٣١ وفي ابن النديم ، الفهرست ، طبعة فيلجل ، ص ٤ - ٦ ، وفي البلاذري ، فتوح البلدان (الطبعة الاوربية) ص ٤٧١ - ٤٧٤ وفي غيرهم .

بل عن طريق الحيرة والانبار في العراق . يقول ابن خلدون ان هذا الخط الجنوبي رحل اولاً الى آل المنذر في الحيرة لما بين هؤلاء والجنوبيين من صلة القرابة ، ومن الحيرة ارتد غرباً جنوباً الى الحجاز . ومنهم من يجعل الانتقال اولاً الى الانبار ومن ثم الى الحيرة . ثم تبسّط الرواية في ذكر الاشخاص العرب الذين نقلوه من العراق الى اهل الطائف وقريش . ونحن لا نستطيع الركوث الى هذه النظرية التي لا تستند الى التاريخ ، انها اقرب الى الخرافة (اعتبر مثلاً اسماء الذين نقلوا الخط الى الحجاز) . وان كان هنالك من شبه بين الخط السبائي وبين خط الحيرة فانما مرده الى ان الخطين في الاصل مشتقان من اصل واحد . ولا ننسى ان الحرف السبائي يُكتب منفصلاً بينا الحرف العربي يُكتب متصلاً .

وقد تقول ، في نفسك ، ولماذا اذاً ازعجت نفسك بذكر الرواية العربية التي لا تركز اليها ؟ نحن نذكرها لاصرارها على ان الكتابة « بضاعة » استوردها العرب من الخارج ، وهي ليست من صنعهم بل اقتبسوها عن جيرانهم وتمهدوها بالاصلاح والتحسين الى ان وصلت الى الشكل الذي نكتب ونطبع فيه اليوم . وهذا في نظرنا هامٌ جدّاً ، اذا ادركه كل عربي فلا يعود يعارض في ادخال ايّ تحسين او تغيير في الخط ، لان هذا الخط قد مرّ في اطوار عديدة يصعب معها تبين الشكل الاول .

ماذا يقول البحث التاريخي العالمي ؟

أخذ العرب خطهم عن الانباط ، وقد عزز هذا الرأي العثور على بضعة نقوش عربية يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام كتبت بالخط النبطي المتأخر ، اهمها نقش النار ، وهي قصر للروم في الحرّة الشرقية من جبل الدروز . وقد وجد هذا النقش على قبر امرئ القيس احد ملوك الحيرة ، ويرجع تاريخه الى

سنة ٣٢٨ ب.م . ونقش زبد ، وهي خربة بين قدّسرين (قنشرين الآرامية : قن النسر) والفرات ، ويرجع تاريخه الى سنة ٥١٢ او ٥١١ ب.م ، وهو مكتوب بثلاث لغات : الاغريقية والسريانية والعربية . ونقش حرّان في اللجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز ، وهو مكتوب فوق باب كنيسة بالاغريقية والعربية (١) ونقش ام الجمال المكتوب بالاغريقية والآرامية ، ويرجع تاريخه الى سنة ٢٥٠ ميلادية .

الانباط شعب عربي كما يستدل من لغتهم ومن اسماء الاعلام الواردة في نقوشهم . ولكنهم عربٌ وقعوا تحت تأثير الثقافة والحضارة الآرامية ، فجاء خطهم أرامياً ولغتهم مزيجاً من العربية والآرامية كما يظهر من نقش النار . وكانت عاصمتهم البطراء (سلع ، ومعناها الصخر . والبطراء اسمها الروماني وهو ترجمة الاسم السامي) مركزاً تجارياً هاماً . وكانت مضاربهم تمتد من سينا الى شمالي الجزيرة العربية الى حوران ومشارف الشام . وعندما اخذت دولة السلوقيين بالتأخر اخذ هذا الشعب العربي بتوسيع رقعة الجغرافية حتى ان في سنة ٨٥ ق.م . اصبح ملكهم حارثة (Aretas) سيّد دمشق وسوريا الجوفّة (البقاع) وفي سنة ١٠٥ او ١٠٦ ب.م . خرب تراجان ملكهم . وكان للانباط ، كما يظهر من النقوش ، خطان خط قديم وخط متأخر . وكان خطهم القديم اشبه بالخط الكوفي تكثر فيه الخطوط المستقيمة والزوايا . وهو الخط الذي كان ينحت على الصخر او يكتب به على النقود . ولكن الانباط كانوا تجاراً قبل اي شيء آخر ، والتاجر لا يحفل بالكتابة كفن بل همّه الكفاءة والسرعة . ولذا نشأ عندهم خط شعبي مدوّر لا مزوّي (٢) . والخط العربي اشتق من الخط المتأخر اي

(١) راجع رسم هذه النقوش الثلاثة ص . ١٣ .

(٢) مدور ترجمة كلمة Cursive اي الكتابة التي تكون فيها اشكال الحروف منحنية مقوسة . ومزوّى ترجمة كلمة Angular اي فيه زوايا .

الخط المدوّر . ويظهر ان فترة اقتباس هذا الخط التجاري كانت بين منتصف الثالث ميلادي ونهاية القرن السادس . ورحلة هذا الخط النبطي الى الحجاز كانت من حوران الى الحيرة والانبار في العراق في اواسط الفرات ومن ثم الى الحجاز ، او من البطراء الى العُلا - محطة تجارية في شمالي الحجاز اسسها عرب الجنوب كما يظهر من النقوش التي عثر عليها هناك اويتنغ (١) - فمدن الحجاز التجارية.

وقبل ان نترك هذا الموضوع يجب التنبيه الى خطأ وقع فيه مؤرخو العرب وهو الزعم القائل ان الخط النسخي مشتق من الكوفي . والنسخي هو الخط الذي يميل الى الاستدارة والتقويس اي هو الخط المدوّر . والكوفي يميل الى التربع فهو المزوّى . ولكن اكتشاف كتابات على البردي وكتابات اخرى ترجع الى الفترة الاسلامية الاولى ترينا بوضوح لا يقبل الشك ان العرب منذ البدء عرفوا خطين : المدوّر النسخي والمزوّى الكوفي والخطان نشأ معاً ولم يشتق الواحد من الآخر . والظاهر ان العرب عرفوا الخط النبطي القديم المزوّى وعرفوا الخط الآرامي المربع الذي كانت تُكتب به الاناجيل . وكان يُعرف بالسطرنجيلي (اي خط الاناجيل) لان الخط المزوّى فيه جلال وفيه زخرف يليق بان يحفر على المباني وان تكتب به الكتب المقدسة . واما الخط النسخي فهو الخط التجاري الذي تستعمله العامة . والظاهر ان العرب قلدوا الآراميين بكتابتهم القرآن بالخط الكوفي الذي لا نشك في ان الكوفة تعهدته وجودت فيه فنُسب اليها .

ضبط الخط العربي بالنقط والحركات والضوابط :

ونعني بالنقط النظام الذي اتبع في تفرقة الحروف المتشابهة بـ تـ ثـ جـ حـ خـ ،

(١) Julius Euting: Tagebuch Einer Reise in Inner - Arabien, 1
Leiden 1896, II 1914 .

عربي قديم نقش زبد و حران نقش النارة نبطي متأخر

ا	6666/1	6	21111	1111
ب	د د د د د د د د	د د د د	د د	د
ج	ا ا ا ا ا ا ا ا	ا ا ا	ا ا	ا ا
د	666666	66	د د د د	د د د د
هـ	77777777	777777		77777777
و	9999	9999	9999	99
ز	ا	ا ا		
ح	ا ا ا ا ا ا ا ا	ا ا	ا	ا
ط	66666666		6	ط ط
ي	77777777	77777777	77	ي ي ي ي
ك	77777777	77777777		ك ك ك ك
ل	ا ا ا ا ا ا ا ا	ا ا ا ا	ا ا ا ا	ا ا ا ا ا ا
م	77777777	77777777	7777	م م م م م م م م
ن	ا ا ا ا ا ا ا ا	ا ا ا ا	ا ا	ن ن ن ن ن ن ن ن
س	س			
ع	77777777	77777777	7777	ع ع ع ع ع ع ع ع
ف	77777777	77777777	7777	ف
ص	ط ط ط ط ط ط ط ط			ط
ق	77777777	77777777		ق ق ق ق ق ق ق ق
ر	66666666	66	ر	ر ر ر ر ر ر ر ر
ش	ا ا ا ا ا ا ا ا	ا ا ا ا	ا ا ا ا	ا ا ا ا ا ا ا ا
ت	ا ا	ا	ا	ا ا ا ا
لا		ا	ا	ا

مقابلة الخط النبطي المتأخر بالخطوط العربية القديمة (ولفسون)

[illegible]

ع.غ... الخ والعرب سمّوا هذا الاصلاح الهام اعجاماً ، واعجبه اي اذهب
عجمته (الهزرة سالبة) . والحركات هي الفتحة والضمة والكسرة والمدّة ،
والضوابط (١) السكون والشدّة والوصلة . ولم كنت اتخى لو ان العرب
الاحياء يحددون معنى اللفظة ويتبعونها ، فاننا نرى في الكتب التي تبحث هذا
الموضوع : اعجام ، شكلات ، حركات ، او حروف مصوّنة ، تنقيط ، وليس في
هذا ضرر لو انها محددة المعنى غير متداخلة . اما نحن فنفضل هذه التسمية البسيطة
— والعلم يفرض التبسيط — لانها تتفق تماماً والواقع .

جميع الحُطوط السامية المتفرّعة من الفينيقية كانت خلواً من النقط والحركات
او من اية اشارة اخرى تفرق حرفاً عن حرف او تشير الى نوعيّة الحركة
او طول المقطع او قصره ، بل كان الكاتب السامي يكتبني بوسم الحروف
الصامتة (٢) التي تشبه هياكل عظمية لا حياة فيها . حياة الكلمة المكتوبة في
الحركة . الحرف الصامت في نظر الفونيتيكي (٣) لا يمكن لفظه بل يدل على
مركز اعضاء النطق فقط . وهذا النقص المعيب في الكتابة السامية افسد على
العرب تفكيرهم من جهة كتابة الكلمة ، اذ اصبح للحروف اهمية خاصة واعتبرت
الحركات امراً طارئاً . ولذا كانت قراءة النقوش السامية مدعاة لكثير من
الاختلاف والتأويل . فاننا لو افترضنا ان كلمة مركبة من « ك ت ب » وردت
في نقش سامي ، عربي او فينيقي او عبري او خلافاً ، فان امكانيات قراءتها
عديدة وعديدة جداً فهي : كَتِبَ و كَتِبَ و كَتِبَ و كَتِبَ و كَتِبَ
و كَتِبَ و كَاتِبَ و كَتِبَ و كَتِبَ او كَتُوب.... الخ .

(١) او ضوابط الكلمة تفرقة لها من ضوابط الجملة Punctuation التي سيأتي الكلام عنها .

(٢) غير اننا في نقوش قليلة العدد نلاحظ ، وذلك في عصور قريبة منا نسبياً ، انهم كانوا
أحياناً يستخدمون حروف العلة الالف والواو والياء .

(٣) الذي يعنى بدراسة اصوات اللغة وتقلباتها .

لا نعلم تماماً سبب استنكاف السامي من وضع رموز او حروف خاصة بضبط القراءة . اما الرواية العربية المتأخرة فتصر على ان شكل الكتابة تحط من قيمة المكتوب اليه ، اذ قد يعتبر الامر اهانة له ، وهذا العمري غاية في التكلف واسراف في الفتيا ! واطنهما تمثل « وجهة نظر المعارضة » لان استنباط النقط والحركات والضوابط لاقى معارضة شديدة ، وها مالك ابن انس (+ ١٧٩) يمنع تنقيط القرآن . اما نحن فلنا في الامر تعليل بسيط جداً وهو ان الكتابة كانت في القديم من الصنائع المقدسة ، وكانت وقفاً على كهنة المعابد او كُتّاب الملوك . ولو كانت الكتابة ضرورة شعبية ، في ذلك الزمن ، لوضعوا نظاماً لضبط القراءة ، ولكن الكتابة والقراءة كانت لطبقة الخاصة . ولكن عندما اصبحنا ضرورة ، او ملكاً مشاعراً نشأت الحاجة الى وضع النقط والحركات والضوابط كما فعل العبران والسريان (١) والعرب من بعدهم .

يعزو التقليد العربي ضبط الكتابة الى أناس لا يُشك في تاريخيتهم مثل ابي الاسود الدؤلي الذي وضع نظاماً من التنقيط لا يختلف عن النظام النسطوري السرياني ، والخليل ابن احمد الفراهيدي الذي ابدل النقط برموز اخرى هي حروف او ابعا حروف . فالفتحة الف صغيرة ، والكسرة مقطوعة عن الياء ، والضمّة واو مصغرة ، والسكون قد يكون انه راس « خ » دلالة على الحلو (او خال من الحركة) والمدة من مُدّ (وفي كتابة اليد اصبحت -) والشدّة من شُدّ (اي الحرف الاول ش) والوصلة من صل (اي الحرف الاول ص)

(١) نشأ عند السريان نظامان ، الواحد يعتمد النقط فوق الحرف وتحت والى يساره ، وهو النظام الذي اعتمدته ابو الاسود الدؤلي ، اذا صحت الرواية ، والآخر يعتمد الحروف المصوتة في هجاء الاغريق . وقد ادخلها ثيوفيل الزهاوي عندما ترجم الاياد السريانية لضبط بها اسماء الاعلام والامكنة .

ونشأ عند العبران عدة انظمة لضبط القراءة والشائع منها اليوم الطريقة الطبرية ، نسبة الى مدينة طبريا حيث كان لليهود مدرسة دينية مشهورة عنيت بضبط اسفار العهد القديم .

ولكن الواقع اننا لا نستطيع الركون الى هذه الرواية . قد يكون لـهذين الرجلين يد في تحسين ما ، ولكن ، وكما يزعم موريس في الموسوعة الاسلامية في بحثه الكتابة العربية ، قد يكون ان بدء ضبط الكتابة يعود الى ما قبل الاسلام قليلاً ، وعندما ظهر الاسلام ونشأت عند العرب حاجة الى تعلم القراءة والكتابة شعروا بضرورة التبسيط . قراءة العربية الحالية من الحركات عملية شاقة فكيف بها اذا كانت خالية من التنقيط ايضاً . وإخال المدرسين في القرن الاسلامي الاول كانوا يتأفقون من صعوبة تعليم العربية كما يفعل مدرسو اليوم . فلا عجب ان يكون الاصلاح قد تناول الخط العربي في فترة سابقة للخليل .

مشاكل الخط العربي :

ونجملها في اربع (١) شكل الحروف ، تشابهها وتغير اشكالها (ب) خلوها من الحركات والضوابط (ج) قواعد كتابية (د) صعوبة الطباعة ونفقاتها .

(١) شكل الحروف ، تشابهها وتغير اشكالها :

من جملة الشروط التي يجب ان تتوفر في حروف الهجاء المثالية ٣ اساسية :

(١) ان يكون لكل صوت من اصوات اللغة رمز واحد اي حرف واحد . وهذا ما لا نراه في اية حروف هجائية حتى في الانظمة الهجائية التي يضعها العلماء والجمعيات العلمية ، فانك تجد مثلاً k h لتمثل خ . وفي الانكليزية sh تمثل ش و th تمثل الثاء ، وعندما CKQ للفظ واحد . وجميع هذه عيوب .

(٢) ان تكون اشكال الحروف متباينة متغيرة كي لا يقع القارئ في التباس .

(٣) ان لا تتغير اشكال الحروف بالنسبة الى موقعها من الكلمة . اذا توفرت هذه الشروط الاساسية مضافاً اليها جمال الشكل وتناسبه يكون لدينا هجاء مثالي .

اذا قسنا الحروف العربية بهذه المقاييس نجد ان الشرط الاول يتوفر في

الحروف العربية ، فهي من هذه الناحية تفوق الحروف الانكليزية مثلاً ، لان لكل حرف عربي صوت واحد ، ومجموعها يفي باصوات اللغة . اما اذا قسناها بالشرطين الثاني والثالث نجد ان كثيراً من الحروف العربية قريبة الاشكال مما يوقع القارئ في كثير من الوهم ، واشكالها تتغير بالنسبة الى موقعها من الكلمة . اذكر انني كنت مرة اقرأ مع طالب اجنيي يدرس عليّ العربية فورد في جملة هذه اللفظة « بتثبتنا من ... » فتوقف الطالب وقال : اين الحروف في هذه الكلمة فاني لا ارى الا نتوءات عليها نقط ؟ قلت له اقرأ النقط لاننا نقرأ النقط ! فضحك . ولكنه الواقع ان بتثبتني في بدء الكلمة ووسطها تحتفي ويقوم مقامها سنّ عليه نقطة او اكثر . وقد عجبت وانا اقرأ كتاب عبدالعزيز فهمي باشا « الحروف اللاتينية للكتابة العربية » القاهرة ١٩٤٤ ، من اصرار الذين ردوا عليه بان هذه ظاهرة حسنة في الخط العربي لانه خط اختزالي ، والعالم يسير نحو الاختزال (كما يقول كامل الجادرجي) . ولكنه تشبيه فيه اسراف . ليس الاختزال مدعاة للمباهاة . انا افهم الاختزال انه ضرورة تجارية طارئة ، فيها كثير من التعسف والاعتباط ، والغاية منها توفير الوقت بين رئيس ومروّوس ، وبين مدير وكاتبة سره ليس الا . اما الكتابة فلجميع الناس وشرطها الاساسي الوضوح والسهولة ، لا ان تكون رموزاً واحاجي .

وتناسب الحروف في احجامها يزيد في جمال الخط . اما في الحرف العربي فالتناسب الهندسي معدوم ، بعضها صغير ، وبعضها الآخر كبير . منها ما تعلو عن الخط المستقيم ، ومنها ما ينحدر عنه . وادهى من هذا ان العلو والانحدار لا يتمشيان حسب قانون . فالحاء واضربها تنحدر اكثر مما تنحدر الراء ، والكاف تعلو عن الخط اكثر مما تعلو سائر الحروف . وقسم منها اذا صغرناها فان بعضها يتلاشى . ويمثل نصري خطار على هذا بكلمة « كلعج البصر » يقول اذا اردنا ان نصغر الحرف نسبياً فاننا نصل الى درجة تحتفي معها اللام والباء او يصبح الواحد

منهما نقطة ميكروسكوبية !

وقد تعجب لهذا الرأي لانك اعتدت سماع عكس هذا، من ان الخط العربي جميل يعبر نفسه للزخرف . والعرب جعلوا من الكتابة اليدوية فناً رائعاً . اما نحن فنعتقد ان هذا الفن الذي ابدعوه في الكتابة لم يكن سوى محاولة لاختفاء النقص والعيب البارز في الخط العربي . ونحن لا ننكر انه فنٌ ولكنه فنٌ لتغطية ما ليس فيه فن . ونزيد بان هذا الفن اصبح فيه من التكلف ما جعل من الكتابة صوراً للحدس والتخمين ، والكتابة ليست للفن ، وليست للتخمين والحدس . الكتابة لنقل الفكر .

(ب) خلوها من الحركات والضوابط :

والحركات ، او الحروف المصوّتة ، هي الفتحه والكسرة والضمّة والمدّة ، والضوابط هي الشدّة والوصلة والسكون . وقد قلنا سابقاً ان الكتابة السامية القديمة كانت تلجأ الى رسم الحروف الصامتة للكلمة ، وتترك الباقي للقارئ . ولم تشدّ الكتابة العربية عن هذه القاعدة . فقد كانت في يوم من الايام تكتب خالية من التنقيط ومن الحركات ومن الضوابط ؛ ولكن عندما نشأت المدرسة ، وعندما شاع العلم ، شعروا بضرورة تسهيل القراءة فأضافوها (١) . الحقيقة هي ان الكلمة العربية هيكل عظمي لا حياة فيه ، وقد ألف العرب رؤية كتابتهم خالية من الحركات حتى فاتهم ان الحركة (Vowel) جزء حيوي من الكلمة . الجذر « ق ت ل » افتراض لا وجود له الا في رأس الفيولوجي ،

(١) ظهر اولا التنقيط لتفرقة بين حرفين يتشابه شكلهما كالباء والناء . وكانت الهزمة تكتب بنقطتين او بنقطة كبيرة بمداد يختلف عن المداد الذي يكتب به الكاتب . ثم ظهرت الحركات والضوابط . وعندما لم يكن النص محرراً كان الكاتب يقول : بالباء المثناة ، او اخت الصاد او الطاء ، او بكسر الاول وفتح الثاني وتسكين الثالث... الخ او كان يقول هي وزان كذا ، على ما تجد في كتب السير والرحلات والجغرافيا .

ولكنه يصبح كلمة ذات معنى اذا قلت قَتَلَ قَتِيلَ، قَاتِلَ ... الخ فكأن الكلمات السامية ، ومن جملتها العربية ، صورٌ ورموزٌ تذكّر القارئ بكلماتٍ قائمة في الذهن . وهذا معنى قولنا (واظنه لاحمد قاسم امين) ان الناس يقرأون ليفهموا ، اما نحن فيجب علينا اولاً ان نفهم لنقرأ !

قد يكون لهذا النوع من الكتابة مبرر عندما كانت الكتابة ، كما المعنا سابقاً ، لتفري من الناس ، ولكن اليوم ، والعلم مشاع ، والحكومات تسعى حثيثاً للقضاء على الامية ، لا نرى له مسوغاً . قد تقول : ولكن لدينا حركات وضوابط . غير ان هذه لم تحل المشكلة لان كتابة اليد ، وجل ما تخرجه المطابع (باستثناء كتب المدرسة) يظهر خالياً من الحركات والضوابط . فتظل القراءة الصحيحة التامة وفقاً على من قضى العمر متبحراً في اسرار العربية . اما الكثيرة الكثيرة منا فتقف امام « يفعل » حائرة تُعمل الفكر في التثبت منها ، اهي يَفْعَلُ ام يَفْعِلُ ، ام يَفْعَلُ ، ام يَفْعِلُ (١٦ امكانية !) . وهذه الكلمة الصغيرة « قد » قد تكون قَدْ او قَدَّ او قُدَّ او قُدَّ (١) ! وعوضاً عن ان يركّز القارئ انتباهه في معالجة المعنى واستيعاب الفكرة تجده حائر البصر ينظر الى فوق الكلمة والى تحتها والى ما بعدها فكأن عليه ان يتحسّس المعنى تحسّساً . واخيراً يتوصل القارئ البارع الى القراءة الصحيحة ولكن متى؟ واما اطفالنا ، اطفالنا الذين لا يستطيعون ان يستدلوا بالقرينة ، ولا ان ينظروا بعيداً الى الكلمات التالية ، فاني لهم ان يقرأوا قراءة صحيحة (٢) ؟ لن نطيل الكلام في موضوع صعوبة القراءة العربية والزمن الذي يحتاج اليه الولد العربي لاتقانها لانه امر مفروغ منه يسلم به كل من مارس مهنة التعليم ، وكل أب حاول

(١) قد تقول ولكن القرينة ، او ما بعد اللفظة يعيننا على القراءة . وهذا صحيح ، ولكن في الامر مشقة على الصغير والكبير . وهذا معنى قولنا اننا يجب اولاً ان نفهم لنقرأ !

(٢) يتندر فريق من اساتذة الجامعة الاميركية بقصة ولد قرأ لفظة « فستكون » فـتكون !!

ان يساعد ولده : وما دام العرب جادين مخلصين في القضاء على الامية عليهم ان يعيدوا النظر في اصلاح خطّهم .

(ج) قواعد كتابية

وبما يعقد الخط العربي، وبالتالي يزيد في صعوبة القراءة، بعض القواعد الكتابية التعسفية . وهذه ظاهرة لا نشكو منها نحن وحدنا ، فهؤلاء الانكليز يصرون على تهجئة Through بهذا الشكل التاريخي رغم الحاح الاميركان بكتابتها Thru و Laugh بدلاً من Laf . ولكن هذا لا يقاس بما يعانيه اطفالنا في الاملا العربي . ومن هذه القواعد المعقدة المهمة على نوعها القطع والوصل (١) وطريقة كتابتهما . وهناك آل التعريف الداخلة على الحروف الشمسية وما تسببه من الارتباك في القراءة ، فقد قال لي ولدي ، رضا ، ان كلمة « فبالرغم » فيها ما يجب حذفه ! وهذا ما قاله لي آخر ونحن نقراء « عَلَى الْإِثْتِفَاحِ » . وعندنا نوعان من الألف الطويلة والمقصورة ، وحروف تلفظ ولكنها لا تظهر كتابة كما في داور وهذا وارهيم ، وحروف تكتب ولا تلفظ كالالف بعد واو الجماعة والالف في الاسم المنصوب المنون والياء في «في» في مثل قولنا « فِي الْبَيْتِ » . واذا لم يكن النصّ محرّكاً فلا سبيل لمعرفة الحرف المضاعف . جميع هذه وغيرها يمكن تبسيطها ، ولنا في كتابة القرآن الكريم ما يشجعنا على هذا ، فان الفاظاً عديدة تكتب في القرآن الكريم (٢) بشكل ، بينما يكتبها الناس اليوم بشكل آخر ، ولا نظن ان احداً يقول بان هذا التبسيط مسّ جوهر القرآن الكريم بشيء .

(١) راجع رأياً لنا في الهزمة وكتابتها في مجلة الابحاث العدد الرابع، السنة الرابعة ص ٣٩٢ .

(٢) في القرآن كلمات عديدة جداً تكتب على غير الهيئة التي نكتبها نحن مثل : رحمن ، مسجد (مساجد)، كتب (كتاب)، ارسلتك، صائت، كفرين (كافرين)، ابراهيم، ارهبون، يباد (يا عبادي)، وغيرها . ولكن هذه وامثالها من شذوذ لا تؤثر بالجوهر افا هي عرض .

(د) صعوبة الطباعة ونفقاتها :

عامة الناس الذين يقرأون جريدة الصباح أو المجلة أو اي كتاب آخر لا يدركون مبلغ صعوبة الطباعة ونفقاتها الباهظة ، انما يعرف هذه الحقيقة المروّ صاحب المطبعة و صفاّف الحروف والمؤلف الذي عليه ان يدفع اجراً لهما . واني اذكر جيداً عندما القى السيد نصري خطار ، صاحب اقتراح «الابجدية الموحدة» محاضرة عن حسنات حروفه في النادي الثقافي العربي في بيروت ، في جمع ضمّ المتأدبين و اكثرية الطباعين ، كيف ان الطباعين رحبوا باقتراح يخفض عدد الحروف من قرابة ٦٠٠ الى ٣٠ ، وفي الآلة الكاتبة من ٨٠ الى العدد ذاته . ولكي يدرك القارئ مبلغ صعوبة الطباعة ونفقاتها ندرج فيما يلي نموذجاً من حروف « كلمن » كما تظهر في المطبعة العادية :

الكاف : ك ك ء كے كم كا كم كم كا كا كل كر كه كلا كو
کی کی .

اللام : ل ل ل لم له لو لوي لي لي لي لي الله لا لا .

[illegible]

النون : ن ث ز ه ذ م خ ح ج نجح ففخ ن ن نو ني في

ولست هذه جميع المركبات الممكنة فقد تجد ان بعض المطابع تبنى مركبات اخرى لا تجدها هنا في هذه القائمة ! واذا اردنا ان نشكل هذه الحروف ، او المركبات من الحروف ، فتحاً وكسراً وضماً وتسكيناً نلجأ الى واحدة من طريقتين : إما ان نضيف هذه الحركات على «امهات» (في مصطلح الطباعين إمّية = أمّ ، وهي الحديدة التي في رأسها قالب الحرف) منفصلة نضعها فوق الحرف او تحته . وهذه الطريقة ، مع انها اسهل واقل نفقات ، تخلق كثيراً من المشاكل القرائية ، ذلك لان هذه الحركات قد لا تقع في المكان الذي تريده من

الحرف ، كأن تأتي الفتحة قبل الحرف قليلاً او بعده قليلاً ، وذلك لصعوبة طبيعية لا مفرّ منها . والطريقة الثانية ان نسكب الحركة مع الحرف في « ام » واحدة فتظهر الحركة في المكان الذي تريده من الحرف . ولكن اذا فعلنا هذا علينا ان نضرب عدد حروف الوسط فقط بخمسة (ذلك لان الحرف الاول والحرف المتطرّف يمكن اضافة حركة منفصلة) فيرتفع عدد النماذج التي مثلنا لك بها الى ما يقرب من خمسة اضعاف .

واذا سألت طباعاً عن اسعار الطبع قال لك : الكلام على حرفٍ مشكل او حرف بدون شكل ؟ لان نفقات المشكل تروى على نفقات غير المشكل نسبة لزيادة العمل . صنف الحرف اللاتيني (ولكن اليوم لا يصفون الحروف بل يستعملون طريقة اللينوتيب) يعالج حروفه التي تكون في قرابة ٣٠ خانة . اما صنف الحرف العربي فامامه بضع مئات من هذه الخانات .

ضوابط الجملة (: Punctuation)

وقبل ان ننهي الكلام عن صعوبة الخط العربي يجدر بنا ان نذكر شيئاً عن ضوابط الجملة ، وهي التي يسميها بعضهم علامات التوقيم (ولا ادري لماذا !) ويسميها البعض الآخر علامات الوقف ، او علامات الاملاء ، اما نحن فنرى انها علامات لضبط الجملة من جهة القراءة . ومعلوم ان الخط العربي خلو من هذه العلامات وهي ضرورية جداً جداً ، وتعين القارىء ، كبيراً كان ام صغيراً ، على تفهّم المعنى .

وعندنا ان اقتباس العلامات الفرنجية هو افضل طريقة . ولا سيما لانها تقريباً موحدة في اللغات الاوربية . وهي علامة الوقف (.) وعلامة السؤال (؟) وعلامة التعجب او التأثر (!) وعلامة الاقتباس او التنصيص كما يسميها البعض (« ») وعلامة الحذف (....) والفاصلة (،) وهي للوقف الجزئي ، وخطان

للجملة المعترضة او التفسيرية ، وعلامة لما يتلو (: -) والقوسين () لعبارة او لفظة لا تشكل جزءاً حيوياً من الجملة بل تكون بدلاً او تفسيراً . ونحن نرغب في ان نرى كتبنا العتيدة مطبوعة على هذا الشكل .

حل مشكلة الخط العربي :

قد يكون ، في نظر القارئ ، بحثُ اصل الخط ومشاكله من الامور الثانوية اذا ما قيسَت بالوجهة الايجابية : ما العمل ؟ وكيف نتلافى هذه الصعوبات ؟ وكيف 'تحل' المشكلة ؟

لم تعد مسألة الخط موضع شكوى وتذمر من الاساتذة والطبّاعين ، بل تعدّت هذا النطاق الى المجامع والهيئات العلمية التي 'تعنى' بالثقافة . ومن الخير ان يُبحث تيسير الخط على هذا الصعيد ، لاننا نعتقد مخلصين انه مهما بذل الافراد من جهود في هذه النواحي فستظلّ كصرخة في وادٍ . ولكن عندما تعالجها هيئة لها وزنها ، ولها كلمتها في العالم العربي ، يكون لكلمتها وقع في العالم العربي . واننا نتطلع الى اليوم الذي يقول فيه مجمع فؤاد الاول للغة العربية في القاهرة كلمته الاخيرة في الموضوع ، لان امر تيسير الخط موضوع على بساط البحث ، وقد قدّمت اليه اقتراحات عديدة ، لم ينظر في كثير منها لبعدها عن التيسير ، ولكنه بحث بعضها . وهناك جائزة مالية كبيرة لمن يقدم احسن اقتراح لحل المشكلة .

وقبل ان ندلي برأينا المتواضع نحب ان نطلعك على خلاصة ما دار من اجاث وما قدّم من اقتراحات لتُكوّن انت لنفسك رأياً خاصاً . وعندما نعرض المشاكل الفكرية والاجتماعية عرضاً علمياً ، وعندما يتكوّن رأي عام ، عندئذٍ فقط نستطيع ان نخطو الخطوة التالية وهي التقرير ثم التنفيذ . العيبُ في جميع مسائل الفكر في العالم العربي انها تبحث على صعيد عالٍ ، من فوق ، ولا تبدأ من تحت ، من الجماهير . وغرضنا من هذا العرض السريع ان نطلع

الجماهير على المشكلة ، وما يدور حولها ، كي يتكوّن رأي عام تستنير به الحياة التي لها القول الفصل .

وانت لا يهيك انت تعرف اسماء الاشخاص الذين قدموا اقتراحات بقدر ما يهيك ان تعرف شيئاً عن هذه الاقتراحات . يمكن حصرها في ثلاث فئات : (أ) فئة يرى اصحابها ابقاء القديم على قدمه . يقولون ان هذا الخط انما وُجد لهذه اللغة فلا يناسبها خطٌ آخر . فضلاً عن انه خطٌ جميل اختزاليٌ بشكله ، ويُعبر نفسه الكتابة الزخرفية . ولكنهم يسلمون بانه خطٌ ناقص ، ولكن السلف الصالح سدّ هذا النقص بالتنقيط والحركات والضوابط ، فهم يقترحون ، منعاً للالتباس ، وتسهيلاً للصغار ، ان تطبع الكتب والمجلات والجرائد محرّكة . ثم يضيفون امراً آخر هاماً - ونحن نوافقهم في هذا - وهو تحسين اساليب تدريس اللغة وتحييها الى النشء الصغير . يقولون ان في كل لغة صعوبة ملازمة لها ، وفي كل لغة شواذ ، والتعلم مرأسٌ وضبط نفس ، فلا ينتظرن الصغير ان تأتبه اللغة عفواً دون بذل مجهود .

(ب) فئة يرى اصحابها تيسير هذا الخط . وهم ينقسمون الى فئتين ، فئة ترى رسم الحركة مع الحرف كما هو الحال في الحرف الحبشي . في الحبشية لكل حرف ٣ اشكال مع الفتحة والضمة والكسرة . وفئة تُيسّر الخط وتضيف الحركات على نحو ما هو جارٍ الآن . واحسن مثالٍ على تيسير الخط - واقربهم الى التيسير - الابجدية الموحدة للسيد نصري خطّار (١) . فقد ابقى على شكل الحروف العربية (القريبة الى الكوفية) وجعلها مفصولة ، وبذلك سهل امر الطباعة (كما اسلفنا) وسهل على الصغار تعلمها بسرعة . ولكن من ينظر في غيرها من مقترحات التيسير يشعر انها اقرب الى التعسير منها الى التيسير . فهجاء علي الجارم ، الذي نظر فيه المجمع ، لاقى مقاومة عنيفة على اساس انه يعقد

(١) راجع مقالاً لنا عنها في مجلة « الكلية » عدد آذار ١٩٥٢ .

الكتابة ويستلزم معرفة قواعد عدّة . ونحن ، عوضاً عن ان نبين سيئاتها او محاسنها ، فقد وضعنا امام القارىء بعض نماذج (راجع الرسوم) ولا شك انه يوافقنا على انها قبيحة وعلى ان الخط القديم ، قبل هذا التيسير ، اجمل وابسط !

« مسطورات القديس يوسف »

« مسطورات القديس يوسف »

« مسطورات القديس يوسف »

« مسطورات القديس يوسف »

« مسطورات القديس يوسف »

حروف الهجاء العربية ، اقترح مصطفى الشاع
السطور الثلاثة الاولى : « بسم الله الرحمن الرحيم »

فَأَمَّا رَمَى الْأَوَّلُ مَلِكُ مُلْكُ مُلْكُ

اقترح حسين منصور

(ج) وفئة ترى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني على انه احسن حرف لتأدية الالفاظ ، ولا سيما اذا ادخلنا عليه بعض التعديلات ، كأن يستغنى عن امثال th التي تمثل ث و sh = ش ويستعاض عنها بحرف واحد . ومن القائمين بهذا الرأي عبد العزيز فهمي باشا . وقد وضع اقتراحه موضع البحث . وكان له مريدون ، وكان له معارضون . وقد ردّ عليهم في سلسلة مقالات جمعها ونسّقها بعدئذ وطبعت في كتاب واحد المعنا اليه (١) . ونحب ان يطلع عليه كل من له في الامر لذة .

(١) الحروف اللاتينية لكتابة العربية ، القاهرة ١٩٤٤

وانت اذا نظرت في ردود المعارضة لوجدت الكثير منها ما هو مردود، لانه بعيد عن المنطق ، كقولهم انه اختزالي (وقد يثنا فساد هذا الرأي) وانه جميل ، وانه احسن خط يلائم اللغة العربية ، وما اشبه ذلك . غير ان الاعتراض

(٢) خيبر البهر ما تعهد به المرء ونفسه ، وخيبر بهر النفس ان ترع بأ

بهنها عن مراقف الاعلتهذار

السيفه افسد قه انبعاث من الكعتهب

في حده تم الحد من الجهد واللعوب

اقترح علي الجارم . خير البر ما تعهد به المرء نفسه وخير بر النفس ان ترعأ بها عن مواقف الاعتذار . السيف اصدق انباء ..

لحي لما رحلفه عامسي لم طر كطا

بَيْتًا رَجُلٌ رَمَى بِطَرِيْقِهِ

احسبت عليهم العطسة
اَسْتَدَّ عَلَيْهِ الْقَطْرَةُ

اقترح سليمان محمد سليمان

اجمعت لِنَفْسِي فَنَفْسِي فَنَفْسِي

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَنْفَتُ عَصَايَ

اقترح محمد شيت الجاوي

الذي عمِلَ السيف في مقترح عبد العزيز فهمي هو ان هذا الخط يفصلنا عن ميراثنا الادبي والديني. ماذا يحدث للقرآن ؟ وماذا يحل بالمكتبة العربية الادبية

والتاريخية ؟ وهو لعمرى اعتراض حري بالدرس . اما عبد العزيز فهمي فيقول ان الامر ايسر مما يتصوره المعارضون المتزمتون : بضعة ملايين من الجنيهات تكفي لاعادة طبع كل ما هو حري بالبقاء بالحرف اللاتيني وحررق او اهمال ما لا قيمة له . ويقول انها فرصة سانحة للتخلص من كثير من الغث . وهذه الملايين القليلة ليست شيئاً بالنسبة لما يوفره من المال في الطباعة ، ناهيك عن تقليل عدد السنوات في تعلمها .

أببتشججخخذرز
سششصضطظع
غغفلاللهمنهلولا

بيكةة

الابجدية الموحدة وضع نصري خطار

ولا شك ، بعد ان وصلنا الى هنا في بحثنا ، انك تحب ان تعلم رأيي . من دراستي المستعجلة لجميع هذه المقترحات لا أرى سوى اثنين : (١) الابجدية الموحدة ، هذا اذا لم نرد ان تكون طفرتنا قوية ، واذا لم نرد ان ننازل

عن خطنا (٢) الحرف اللاتيني مع التعديلات التي اقترحها عبد العزيز فهمي . واذا خيرت ، او اذا وُضع الامر للتصويت فاننا مع الحرف اللاتيني ، لانني لا ارى حلاً للمشكلة ما لم 'تحرك' الكلمة وما لم 'يضبط' لفظها وشكلها . والحرف اللاتيني يستطيع هذا .

Ẓayruṭ birri mā duralḥada bi hi'l - (٣)
marṣu nafsu hu. wa ẓayru birri'l nafse an
tarbasa biḥā an mawāqifil 'l'idār.

al saṣfu an daqu anbasan min il kutubī
fay raddi hi'l raddu bayna'l riddi wa il la'ib

اقترح عبد العزيز فهمي باشا . خير البر ... السيف اصدق انباء ...

ولكنني اكرر ان وجهة نظر فرد لا تؤثر كثيراً في هذه الناحية الحساسة . ولكل بحق لكل منا ان 'ييدي' وجهة نظره لا ان يفرضها . 'تحل' هذه المشاكل اذا ارادها المجموع الاكبر .

ولكن الحياة تسير بسرعة ، ومن لا يواكبها تخلفه يتسكع في المؤخرة . اللغة ليست لنا ، لاننا زائلون . بعد نصف قرن يموت كل من سيقراً هذه المقالة (الا اذا قرأها الاحداث ولا اخلاهم بفاعلين) ولكن اللغة ستبقى الى ما شاء الله . فعلينا ان نأخذ بعين الاعتبار هذه الاجيال المقبلة التي لا يعرف عدّها الاربك واجد الوجود .

وفي التاريخ الاسلامي والفقهاء الاسلامي من المرونة واللبونة ما يشجع على الاقدام على الصالح المنافع . الا يقولون : « الضرورات تبيح المحظورات » و « درء المفسد اولى من جلب المصالح » وما قولك في مبدأ « الضرر يُزال » ؟

انيس فريحة

الجامعة الاميركية

ا
ن
ي

.

ل

ة

ذا

نا

.

ل

«

?

A. U. B. LIBRARY

[illegible]

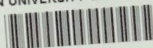
A. U. B. LIBRARY

CA:AUB:492.7:F847hA:c.1

فريجة ، انيس

حروف الهجاء العربية : نشأتها ، تطورها

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01068928

CA:AUB:492.7:F847hA

فريجة *

حروف الهجاء العربية : نشأتها ، تطورها ،
مشاكلها *

DATE	Borrower's Number	DATE	Borrower's Number
JUN 28 '92	AT BINDING		

CA
AUB
492.7
F847hA

